Article history (leave this part):
Submission date: 21.07-2025
Acceptance date: 04-11-2025
Available online: 27-12-2025
Keywords:
Pronominal Reference, Textual Cohesion, Discourse Analysis, Qur'anic Linguistics, Surah Saba.
;**Funding:**
This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.
Competing interest:
The author(s) have declared that no **competing interests**exist.
Cite as (leave this part):
HananAbufaresElkhimry;. (2024).Title.Journal of Science and Knowledge Horizons: 4(1), 283-293. https://doi.org/10.34118/jskp.v2i02.2727

The authors (2025). This Open Access article is licensed under a Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0) (http://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial reuse, distribution, and reproduction are permitted with proper citation.

Journal of Science and Knowledge Horizons
ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

pronominal reference and its role in enhancing the cohesion of Surah Saba

Afrah Hadi thayef, Phd Stusent of of Arabic Language and Literature at Shiraz university (Iran), afrahfefe2022@gmail.com
https://orcid.org/0009-0006-3910-8109
*Amin Nazari Terizi, Assistant professor at the Department of Arabic Language and Literature at Shiraz university (Iran) *, aminnazari@saadi.shirazu.ac.ir*
https://orcid.org/0009-0004-1584-0712

Abstract:

Textual cohesion is considered one of the most prominent Issues addressed by text linguistics, due to Its significance in revealing the interconnectedness and internal harmony of a text's elements. Pronominal reference is one of the linguistic phenomena that effectively contribute to achieving this cohesion, as It is relied upon to link sentences and Ideas, avoid excessive repetition, and direct the reader's mind toward a specific referent within the context. This research aims to study pronominal reference In Surah Saba and highlight its role and Importance in enhancing the cohesion of the Quranic text. It focuses on analyzing how pronouns—whether attached or detached—are employed to link linguistic elements and various topics within the Surah, by referring to persons, concepts, or objects mentioned earlier in the context, thus contributing to reducing redundancy and achieving fluency of expression. This study adopts the descriptive-analytical method, based on the analysis of Quranic examples and the extrapolation of patterns of pronominal reference in Surah Saba to uncover their role In achieving textual cohesion.

***Dr. Amin Nazari Terizi**

vol (05) | Issue (02) Year (2025)
Vol. 05, No. 2, pp-365 - 381| Decemder 2025
DOI: https:// DOI 10.34118/jskp.v5i02.4452

Journal of Science and Knowledge Horizons
ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

مجلة العلوم وافاق المعارف

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي في سورة سبأ

أفراح هادي ضايف (جامعة شيراز)1، أمين نظري تريزي (جامعة شيراز)2*

الملخص

يعد التماسك النصي من أبرز القضايا التي اهتم بها علم اللغة النصي، لما له من أهمية في الكشف عن ترابط عناصر النص ومدى انسجامها الداخلي. وتعد الإحالة الضميرية إحدى الظواهر اللغوية التي تسهم بفعالية في تحقيق هذا التماسك، حيث يعتمد عليها لربط الجمل والأفكار، وتجنب التكرار الزائد، وتوجيه ذهن القارئ إلى مرجع محدد داخل السياق. يهدف هذا البحث إلى دراسة الإحالة الضميرية في سورة سبأ، وبيان أثرها وأهميتها في إبراز تماسك النص القرآني. ويركّز على تحليل كيفية توظيف الضمائر — سواء أكانت متصلة أم منفصلة — في ربط العناصر اللغوية والموضوعات المختلفة داخل السورة، من خلال الإشارة إلى المشار إليهم في السياق، سواء كانوا أشخاصًا أو مفاهيم أو أشياء، بما يسهم في تقليل التكرار وتحقيق سلاسة التعبير. وستعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تحليل نماذج قرآنية واستقراء أساليب الإحالة الضميرية في سورة سبأ، للكشف عن دورها في تحقيق التماسك النصي.

الكلمات المفتاحية: *القرآن الكريم; سورة سبأ; الضمائر; الإحالة الضميرية; التماسك النصي.*

مقدّمة:

ومن أبرز خصائص اللغة العربية ميلها إلى الإيجاز، الذي يضفي على النص حيوية وتأثيرا عميقا في المتلقي. وقد أسهمت الظواهر اللغوية المختلفة في بناء النصوص القرآنية وإبراز تماسكها، ومن أهم هذه الظواهر ظاهرة الإحالة الضميرية، التي تمثل أداة فاعلة في تحقيق الانسجام النصي .إذ يكشف القرآن الكريم، في بلاغته وإعجازه، عن إتقان لغوي مميز في استخدام أدوات لغوية متعددة تسهم في اظهار انسجام النص وترابطه، ومن هذه الأدوات الضمائر، التي تؤدي دورا مهمّا في ربط الجمل والآيات ببعضها البعض، مما يعزز التماسك النصي ويوضح المعاني.

وتعد الإحالة الضميرية وسيلة جوهرية لتحقيق الاستمرارية في النص القرآني، إذ تستخدم للإشارة إلى الأسماء أو الأفكار التي ذكرت سابقا، مما يسهم في تقليل التكرار، وخلق ترابط منطقي بين أجزاء النص. وفي سياق دراسة سورة سبأ، يظهر بوضوح دور الإحالة الضميرية في تعزيز تماسك المعاني وربط الأفكار وتوضيح الرسائل المتعددة التي تحملها السورة.

ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، إلى الكشف عن دور الإحالة الضميرية في بناء التماسك النصي، معتمدة على فرضية مؤداها أن الضمائر تسهم في ترابط النصوص وتوضيح معانيها، وتهدف إلى اظهار أثر هذه الظاهرة في وضوح المعاني القرآنية ودقة ترابطها.

تتناول الدراسة عددا من الآيات التي تبرز فيها فاعلية الإحالة الضميرية في تماسك المعنى، كالإشارة إلى الله، أو الرسالة، أو الأنبياء، أو الأقوام. كما تسلط الضوء على دور هذه الإحالة في تعزيز استمرارية الفهم لدى القارئ، مما يقوي الرسالة التي تتضمنها السورة.

المبحث الأول: التماسك النصي والاحالة الضميرية

يشتق التماسك من مادة (مسك)، التي تدلّ على الإمساك بالشيء والتمسك به، كقولهم: «أمسكت الشيء، وتمسكت به، واستمسكت به»، وكلها تعني الاعتصام به (الجوهري، 2009). كما تحمل مادة "مسك" دلالة الحبس والمنع (ابن فارس، 1984). أما في الاصطلاح، فيعرّف التماسك النصي بأنه: «الوسائل اللغوية التي تربط بين عناصر النص، وتكسبه تماسكا على مستوى الشكل والدلالة، كأدوات الربط، والضمائر، والإحالة، والحذف، والوصل، وغيرها، بحيث ينظر إلى النص بوصفه وحدة لغوية مترابطة منطقيًّا ودلاليّا» (خطابي، 1991).

وقد تعددت المصطلحات المستخدمة للإشارة إلى هذا المفهوم، إذ أطلق عليه الأزهر الزناد مصطلح "الاتساق (الزناد، 1993) بينما استخدم صبحي الفقي مصطلح "التماسك" (الفقي، 2015)، ورأى سعيد مصلوح أن "السبك" هو المصطلح الأدق، نظرا لارتباطه باستمرارية البنية الظاهرة للنص (مصلوح، 1991).

ويعد التماسك النصي من المفاهيم المحورية في علم لغة النص، إذ يهتم بالعلاقات التي تربط بين مكوّنات النص من جهة، وبين النص وسياقه الخارجي من جهة أخرى، وهو بذلك يجمع بين الطابعين الدلالي والشّكلي (كنون، 2015). وينقسم التماسك النصي إلى قسمين رئيسين: السبك، وهو ما يتعلق بالعلاقات الشكلية المتمثلة في الوسائل اللغوية الظاهرة، والحبك، الذي يعنى بالعلاقات الدلالية الكامنة بين أجزاء النص (كنون، 2015).

المطلب الأول: الضمير وأهميته

فيما يلي سنتناول مفهوم الضمير لغة واصطلاحا وأهميته في القرآن الكريم ودوره في الجملة العربية:

الفرع الأول: مفهوم الضمير لغة واصطلاحا

الضمير لغة مشتق من مادة (ض م ر)، التي تدل على الخفاء والاستتار. وقد عرّفه الفراهيدي في كتابه العين بقوله: «الضّمير: ما ضمر في القلب ولم يظهر» (الفراهيدي، 1990)، وهذا يشير إلى أن أصل معنى الضمير يتعلق بما يخفيه الإنسان في نفسه دون أن يفصح به. كما أشار ابن فارس في معجم مقاييس اللغة إلى أن «الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر» (ابن فارس، 1984)، مما يؤكد ارتباط مفهوم الضمير بالخفاء والانطواء.

أما في الاصطلاح، فقد عرف الضمير بعدة تعريفات، منها: أنه «لفظ موضوع لاستعماله في الإشارة إلى متكلم، أو مخاطب، أو غائب سبق ذكره لفظا أو معنى أو حكما» (الزمخشري، 2004)، وقيل أيضا: هو «اسم معرفة يدل على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، اعتمادا على السياق، دون التصريح بالاسم» (ابن هشام، 1996). كما عرف بأنه «اسم غير منصرف ينوب عن اسم سابق، غائب أو مخاطب أو متكلم وهو مبني»» (كنون، 2015). وجاء تعريف آخر ينص على أنه «لفظ كني به عن متكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره بوجه ما» (التهانوي، 1996). ومنهم من قال: «هو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره معنى أو لفظا أو حكما» (ابن الحاجب، 1409) ومن هنا، يعتبر الضمير «مجموعة من الكلمات صغيرة التكوين، ضئيلة الحجم، وكل كلمة منها تعبر عن معنى مقصود لا يظهر بوضوح للسامع، ولا ينكشف إلا بدليل من الخطاب أو سبق الذكر» (جبر، 1983). وهو من الأسماء المبنية، فلا يثنى ولا يجمع، وتدل صيغته على المفرد أو المتنى والجمع حسب الحاجة (حسن، 1958).

يعد الضمير من المعارف المبنية، سهم في في تحقيق تماسك النصوص عن طريق الإحالة إلى عناصر سابقة أو لاحقة، مما يقلل من التكرار ويحقق الانسجام الدلالي بين أجزاء الكلام. وقد اختلف علماء اللغة في تسميته ؛ فبعضهم كالزمخشري والشوكاني، أطلق عليه لفظ "الضمير"، بينما اصطلح آخرون كالجوزي والثعالبي، على تسميته "كناية". وهناك من أجاز استعمال المصطلحين معا، كما هو الحال عند الطبري والقرطبي في تعبيراتهم (ابن عبدالله، 1430). واهتم النحويون اهتماما بالغا بالضمير، فتناولوا أثره، في بناء الجملة العربية. ومنهم سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي خصص له "باب علامات المضمرين" (سيبويه، 1988) فتحدث عن الضمائر وفقا للمتكلم، المخاطب، الغائب "أنا، أنت، هو". تستخدم الضمائر للإشارة إلى الأفراد أو الأشياء في النصوص،كما خصصت الضمائر في العربية للدلالة على التذكير أو التأنيث، والمفرد أو المثنى أو الجمع، وتسهم إسهاما كبيرا في تحقيق تماسك النص وسهولة فهم المعاني، من خلال الربط بين الجمل والأفكار معا.

الفرع الثاني: أهمية الضمير في القرآن الكريم

يتسم القرآن الكريم بالبلاغة والإعجاز، وكانت الضمائر من الأدوات البلاغية الفعالة التي أسهمت في إحكام نصوصه، فالضمير في القرآن يؤدي وظائف متعددة، إذ لا يقتصر دوره على الإحالة فحسب، وإنما يشمل دورا في الايجاز

والتأكيد، وتوجيه المعنى، وربط الآيات بعضها ببعض مما يحقق التماسك النصي القراني. وتتجلى أهمية الضمائر بوضوح في الضمائر العائدة الى الله سبحانه وتعالى، بما تعكسه من دلالات التوحيد والقدرة الإلهية. وكذلك يظهر التنويع البديع في الخطاب القرآني بين المتكلم والمخاطب والغائب، مما يضفي على النص القرآني ثراء دلاليا وجذبا مستمرا للقارئ.

ويعد الضمير الأداة الاساسية في ربط الجمل والآيات، مما يسهم في ترابط النصوص وتماسكها. ويتجلى ذلك في استخدام الضمائر للربط بين والأفعال والأسماء والمفاهيم داخل السورة الواحدة، أو عبر عدة آيات متتابعة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: 16) ففي الآية نجد أن الضمير"نا" في "خلقنا" يعود إلى الله عزوجل، وجاء لتوكيد الفعل. بينما تعود الهاء في "به" إلى الإنسان، مما ربط الضمير بالمذكور في الجملة السابقة (النحاس، 2004)، محققا بذلك تماسكا نصيا قويا.

ويبرز هذا الاستخدام للضمائر أثرها في بناء النص القرآني المتماسك، ويكشف عن جانب من جوانب الإعجاز البلاغي والدلالي فيه. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1) نلاحظ أن الضمير "الهاء" في "أنزلناه" يعود على القرآن المجيد دون ذكره صراحة، نظرا لكونه معروف من السياق (الطبابايي، 1421). ويأتي الضمير لتوكيد المعنى في كثير من المواضع وتعظيم شأن المتكلم أو المخاطب.

ومما يظهر لنا الاستعمالات المتعددة للضمير في النصوص القرآنية فلولا وجود الضمائر لجاء التكرار والحشو مما تفقد الآيات القرآنية التأثير النفسي والمعنوي وإعجازها البلاغي والفصاحة.

الفرع الثالث: دور الضمير في الجملة العربية (دلالاته وتأثيره)

نال الضمير اهتماما كبيرا من النحاة منذ نشأة علم النحو في العصور القديم والحديثة، حيث بينوا أهميته وتأثيره في بناء الجملة العربية ودلالته في الإيجاز والتماسك النصي. وقد حظيت دراساتهم حول الضمير من ضمن بحوثهم في الأسماء المبنية والإحالة النصية والإعراب، ونالوا اهتمامهم بأنواعه، وأحكامه، ودلالاته، ومدى استخدامه في الكلام العربي الفصيح.

وجاء اهتمام النحاة واضحا بالضمير منذ تأسيس مدرسة البصريين على يد أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه، فقد سعوا واجتهدوا لوضع أصول ثابتة لقواعد اللغة العربية، وبينوا أن للضمير استخدامات عديدة وبكثرة في النصوص القرانية والشعر العربي، وله دور مميز وأساسي في تجنب التكرار وربط الجمل. وسيبويه في كتابه "الكتاب" قد أكّد على أن الضمائر تقسم إلى متصلة ومنفصلة، وبين متى يجب استخدام هذه الأنواع من الضمائر (سيبويه، 1988).

أما نحاة الكوفة، ومن بينهم الكسائي والفراء، فقد نظروا إلى الضمير من زاوية تأثيره في المعنى، حيث درسوا المسائل البلاغية المرتبطة به، من التقديم والتأخير في استخدام الضمائر، وكيف أن هذه الظاهرة تؤثر في دلالة الجملة. كما ركّزوا اهتمامهم على الضمائر المستترة، وبينوا متى يتم تقديره ومتى يكون ظاهرا.

وزاد الاهتمام بالضمائر مع تطور علم النحو، فقد توسع الأنصاري ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" في تحليله للضمائر من ناحية الإعراب والتراكيب، حيث درس الضمائر المتصلة والمنفصلة، وبين الفرق بينهما، وبحث المسائل المتعلقة

بعائدة الضمير إلى مرجعه، وهل يمكن أن يكون قريبًا في الجملة أم ممكن أن يتأخر عنه. وقد تحدث في كتابه تحت عنوان "روابط الجملة بماهي خبر عنه" (ابن هشام، 1996) وجاء دور الضمير رابطا فقد أكّد صبحي إبراهيم على هذه الوظيفة والتي جعلها أصل الروابط (الفقي، 2015).

المطلب الثاني: الإحالة النصية

جاء في لسان العرب «حال الرجل يحول مثل تحول من موضع إلى آخر، وحال الشيء يحول حولا بمعنيين: يكون تغيرا، ويكون تحولا، وحال فلان عن العهد أي زال وفي الحديث: من أحال دخل الجنة، يريد من أسلم لأنه تحوّل من الكفر عما كان يعبد إلى الإسلام» (ابن منظور، 1996). وجاء بتعريف آخر في المصباح المنير: «أحلت الشيء، إحالة نقلته أيضا وأحلت عليه بالسوط والرمح سدَّدته إليه. وأحلت الأمر على زيد أي جعلته مقصورا عليه مطلوبا به» (الفيومي، 2007).

هذا المعنى اللغوي يقودنا إلى المعنى الاصطلاحي، فالإحالة اصطلاحا: تمثل مركز التوجية داخل النص، وهي تقوم بتوجيه القارى وتحديد الدلالة إلى المعنى المقصود، وهي تبين العلاقات الدلالية المشروطة بتطابق الخصائص الدلالية بين العناصر المشار إليها والعناصر المرجعية (خطابي، 1991) وقد تعددت تعريفاتها بين المؤلفين فالخطابي جعلها عنصر من أهم عناصر السبك فقد جعلها تمثل بؤرة التوجيه داخل النص وبها يتم تحديد الدلالة وهي التي تقود القارىء إلى المعنى المطلوب وتؤدي الجمل والكلمات إلى مقصود الكاتب، فهي تمثل علاقة دلالية خاضعة للقيد الدلالي ومنه تتطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال له (كنون، 2015) وجاء في تعريف آخر «علاقة تقوم بين الخطاب، وبين ما يحصل عليه الخطاب إن في الواقع أو التخيل أو في الخطاب الذي تشير اليه العبارات» (دي بوجراند، 1998).

يلعب عامل الإحالة في ترابط النص وتماسكه دورا فعالا (بحيري، 2005)، فالعلاقة الدلالية للإحالة تدل إلى استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب فيؤدي إلى التماسك من خلال استمرارية المعنى (شبل، 2018)، يتبين لنا ما عرف سابقا أن «الإحالة تنشيء التماسك الدلالي، وفي إطار العوامل التي تحدث تماسك النص تشغل مكانا بارزا» (بحيري، 2009) والإحالة كما عبر عنها كلما ير أنها علاقة قائمة بين عنصر لغوي ويسمى "عنصر علاقة" وضمائر أخرى يطلق عليها "صيغ الإحالة" (بحيري، 2005).

ومن خلال وجود العناصر اللغوية هذه التي لا تقتصر بذاتها من خلال التأويل، وإنما تميل إلى عنصر آخر، ويتوفر في هذه اللغة الطبيعية عناصر تملك صفة الإحالة، لهذا تسمى عناصر محلية مثل الضمائر، وأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة (دي بوجراند، 1998). وتظهر أهمية الإحالة بأن الكلمة تكون مع أختيها ويتوقف تفسير كل من الأولى على الثانية وترتبط مع الثانية ارتباط معنوي ونحوي ودلالي.

الفرع الأول: أقسام الإحالة

قسم هاليدي ورقية الإحالة إلى قسمين رئسين وهما: الإحالة المقامية وهي إحالة خارج النص، وتعني إحالة صيغة لغوية على صيغة غير لغوية موجودة في المقام الخارجي كأنما يدل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، وبالامكان أن يشير إلى المقام ذاته في تفاصيله إذ يمثل مرجعا موجود مستقل بذاته، إذ يمكن المتكلم أن يحيل عليه، وهي تقوم على مبدأ واحد مهما تنوعت انواعها وهو الاتفاق في المرجع مابين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي (عفيفي، 2021).

والقسم الآخر الإحالة النصية وهي إحالة داخل النص «والتي تحيل فيها بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النص» (عفيفي، 2010). وتقسم هذه الإحالة إلى فرعين: إحالة قبلية، وبعدية (خطابي، 1991)، والإحالة القبلية هي إحالة الصيغة أو الكلمة إلى عنصر لغوي سابق أو متقدم باستعمال الضمير أو الأسماء الموصولة، أو اسماء الاشارة. وتشمل هذه الإحالة العودة إلى نوع آخر حينما تعود إلى عائد أو مفسر سبق التلفظ به، ويتمثل بتكرار اللفظ أو عدد من الألفاظ للتأكيد في بداية كل جملة من جمل النص (الفقي، 2015)، وتمثل هذه الإحالة أكثر الأنواع رواجا وانتشارا من الاحالة البعدية، لأنها تجعل المتلقي في حيرة وقلق مستمر لكي يصل إلى الضمير الذي يوضح ماهو المحال إليه، فهي «سلاح ذو حدين، فهي إما أن تجعل المتلقي متحفزا متشوقا إلى مرجع هذا الربط، وإما أن تقلل من دقة متابعته فيظل المعنى متشوقا حتى يجد المرجع» (عفيفي، 2021).

في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (الكهف: 32). إن الضمير المتصل في كلمة " لأحدهما" الضمير " هما" وهي إحالة إلى سابق والتي تعود على "الرجلين" وهي إحالة داخلية نصية. والإحالة البعدية: هي إحالة الكلمة إلى الكلمة المذكورة بعدها فهي تعود إلى ما بعدها بالمعنى والحفظ كما في ضمير الشأن في العربية. مثل قوله تعالى "قل هو الله أحد"، فالضمير المنفصل " "هو" في محل رفع مبتدأ قد فسره الجملة الاسمية التي جاءت بعده "الله أحد" والجملة الاسمية في محل رفع خبر. وهذه هي الإحالة البعدية.

الفرع الثاني: أدوات الإحالة

الإحالة تعدّ من أهم الأدوات اللغوية الأساسية التي تساهم في تحقيق التماسك النصي، وهي أداة لغوية تستعمل للإشارة إلى شيء قد تم ذكره سابقا أو سيتم ذكره لاحقا في النص. وتستخدم الإحالة في النصوص القرانية والأدبية والهدف الرئيسي هو عدم التكرار وضمان الترابط بين أفكار النصوص. وهاليدي ورقية جعلوا المرجعية والتي تشمل الضمائر في مقدمة كتابهم وهما من أبرز من تحدث عن الإحالة من ضمن أدوات التماسك، وأكثرها تأثيرا وإسهاما في تحقيق التماسك النصي (الفقي، 2015).

وأدوات الإحالة لها عدة أنواع، فيمكن تقسيمها إلى:

أ. الإحالة الضميرية: وتتم هذه الإحالة من خلال استخدام الضمائر (المتصلة أو المنفصلة) للربط بين الأجزاء المختلفة من النصوص، وهذا ما يساعد في تحديد المراجع أو الأفراد من دون الحاجة إلى تكرار الأسماء. وبها يتم تحقيق التماسك النصي في النصوص القرآنية والأدبية، ومنهم من قسم الضمائر إلى وجودية وضمائر ملكية. والضمائر الوجودية

مثل :"أنا، نحن، أنت، هو، هم،...إلخ. أما الضمائر الملكية مثل "الياء، الهاء، الكاف، الناء"وغيره (خطابي، 1991)، وهذا التقسيم أيده الأستاذ أحمد عفيفي (عفيفي، 2021). وقد قسم هاليداي ورقية حسن الإحالة الضميرية إلى قسمين، قسم يختص بالضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب وهي إحالة خارج النص، والقسم الثاني تتضمن ضمائر الغيبه التي تدل على المفرد أو المثنى أو الجمع "هو، هي، هما، هم، هن" (خطابي، 1991) مثال: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (سبأ: 3) حيث يشير الضمير "ي" إلى الله عز وجل.

ب. الإحالة الموصولية: تستخدم الأسماء الموصولة (الذي، التي، الذين، ...) لربط الجمل وتوضيح االمراجع. والأسماء الموصولة لا تكتفي بذاتها أنها لا تحمل دلالة خاصة، إذ تربط اللاحق بالسابق ربط مفهوم لكي يفهم السامع ما تحيل إليه ولابد أن يكون له علم سابق. والاسم الموصول «هو اسم غير متصرف يدل على معين ولا يتم معناه إلا بجملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول» (كنون، 2015) مثال على ذلك عندما نقول نجح من ساهم معنا في التلاوة القرآنية فالقارى يجب أن يكون على علم من شارك بالتلاوة «ومن هنا يظهر لنا أن الاسم الموصول مبهم يحتاج مفسر له ولذا عدت الأسماء الموصولة من وسائل التماسك النصي. لأنه يستلزم وجود جملة بعده، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات الإحالة، نظرا لارتباطه بمذكور سابق» (كنون، 2015).

ج. الإحالة الإشارية: تشكل الإحالة الإشارية، جنب إلى جنب مع الإحالة الضميرية، عنصر مهما عند اللسانيين، فهي تقارب الضمائر بربط ما يشار إليه (الزناد، 1993). وهي أداة من أدوات الإحالة وتقوم بالربط القبلي والبعدي (خطابي، 1991)، تتم باستخدام أدوات الإشارة مثل (هذا، تلك، هؤلاء) للإشارة إلى شيء ما دون تكرار الأسماء أو العبارة. إذ أنها تحيل إلى ما في داخل النص وهي أسماء غير متصرفة، وتقسم باعتبارات عدة حسب الظرف والمسافة والنوع وحسب العدد، وتقوم هذه الأسماء بالربط القبلي والبعدي وهي تساهم في اتساق النص (كنون، 2015)، واسم الإشارة كما يطلق عليه الإحالة الواسعة «أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل» (خطابي، 1991).

د. الإحالة المقارنة: هذه الإحالة لها دو مثل الاحالة بالضمائر وأسماء الموصولة وأسماء الاشارة، فتؤدي دورا مهمّا في ترابط النص وتماسكه إذ تربط اجزاء النص مع بعضها البعض، ويظهر دورها في تماسك النص والإحالة بالمقارنة تتم من خلال التطابق والاختلاف والتشابه وكمية وكيفية التي تؤدي إلى شيء سابق أو لاحق ولهذا عدّت من الوسائل الإحالية خطابي، 1991). نجد كل هذه الأدوات تسهم في بناء النص وتماسكه وترابط أجزائه، مما يعزز انسجامه ويجعل فهمه أسهل للقارئ.

المبحث الثاني: التحليل التطبيقي في سورة سبأ

بعد استعراض المفاهيم الأساسية للإحالة الضميرية وأنواعها، يأتي دور تطبيق هذه المفاهيم على النص القرآني في سورة سبأ. تهدف هذه الفقرة إلى تحليل كيفية استخدام الضمير في السورة، مع التركيز على دلالاته المختلفة وأثره في التماسك النصي. ومن خلال هذا التحليل، سنستكشف كيف يسهم الضمير في ربط أجزاء السورة، وفي إبراز الترابط

بين الآيات وتوجيه المعنى بشكل متكامل. تتميز سورة سبأ بعمقها الدلالي وتكاملها النصي، حيث تستخدم الضمائر بشكل متقن لضمان استمرارية الموضوع وتوجيه القارئ عبر تسلسل فكري محكم. ومن هنا، سنقوم بتحديد الأمثلة البارزة للإحالة الضميرية في السورة، مع تسليط الضوء على العلاقة بين الضمير ومرجعه، وتحليل تأثير هذه الإحالات على بناء الجملة، سواء من الناحية النحوية أو البلاغية.

المطلب الأول: أمثلة تطبيقية للإحالة الضميرية في سورة سبأ

الإحالة الضميرية في الآيات (1–3) من سورة سبأ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (سبأ: 1)

افتتحت سورة سبأ بآية تحمل معاني الحمد والثناء لله تعالى، وتشير إلى استحقاقه المطلق للحمد في الدنيا والآخرة (الطبرسي، 1988). وتبرز الإحالة الضميرية في هذه الآيات بشكل واضح، إذ نجد في قوله تعالى: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ضميرا متصلا (الهاء) يعود إلى لفظ الجلالة "الله" الذي ورد في صدر الآية. وهذا النوع من الإحالة يعد إحالة قبلية؛ لأن الضمير يحيل إلى مرجع سبق ذكره في النص، مما يعزز التماسك بين أجزاء الجملة. ويتكرر الضمير (الهاء)، (له) مرة أخرى في قوله: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾، وهو أيضا يعود على ذات المرجع "الله"، مما يعزز الاستمرارية في الإحالة داخل الآية. كما ورد الضمير المنفصل (هو) في قوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾، ليؤدي الوظيفة نفسها، وهو ضمير يعود على "الله" أيضا، ويسهم في الحفاظ على وحدة المرجع في السياق، ما يضفي تماسكا معنويا يربط بين صفات الذات الإلهية.

أما في الآية التالية: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ... وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ: 2)، فالفعل "يعلم" يتضمن ضميرا مستترا تقديره "هو"، يعود إلى الله عز وجل (النحاس، 2004). ورغم أن لفظ الجلالة لم يذكر صراحة في هذه الآية، إلا أن المرجع الضميري يفهم من السياق، وتحديدا من الآية السابقة التي ختمت بصفتي "الحكيم الخبير". وعليه، تعد هذه الإحالة إحالة خارجية قبلية؛ إذ أن مرجع الضمير لم يذكر في الآية ذاتها، بل استدل عليه من السياق العام للنص.

ويأتي الضمير المنفصل "هو" مرة أخرى في نهاية الآية، في قوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾، ليؤكد أن من يعلم ما في الأرض والسماء هو نفسه المتصف بالرحمة والمغفرة. ونظرا إلى أن صفتي "الرحيم الغفور" وردتا بعد الضمير، فيمكن اعتبار الإحالة في هذه الموضع داخلية بعدية؛ حيث إن الصفات كشفت عن مرجع الضمير بعد وروده. وهذه الإحالة تسهم في التماسك الدلالي للآية، إذ ربطت بين مضمون الشطر الأول المتعلق بسعة العلم الإلهي، والشطر الثاني المتعلق بالرحمة والمغفرة، مما يعزز الانسجام في البناء النصي والمعنوي.

وفي الآية الثالثة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ. وَ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: 3)

نلحظ الضمير "نا" في الفعل "تأتينا"، وهو ضمير متصل في محل نصب مفعول به (النحاس، 2004)، يعود على الكافرين المذكورين في بداية الآية، مما يجعل الإحالة داخلية إلى مرجع متقدم. كما يظهر الضمير "ي" في قوله: ﴿وربي﴾، وهو ضمير متصل في محل جر بالإضافة (القرطبي، 1987)، يعود على النبي محمد صلى الله عليه وسلم،

رغم عدم ذكره صراحة في الآية. لذا، تعد هذه إحالة خارجية، لأن مرجع الضمير مفهوم من السياق العام، لا من نص الآية نفسها.

وفي قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ (سبأ: 4)، نجد فعلا مضارعا يتضمن ضميرا مستترا يعود على الله عز وجل، وهو مرجع لم يذكر لفظا في الآية، بل يفهم من السياق العام والآيات السابقة التي تحدثت عن صفاته. وتعد هذه الإحالة خارجية، وقد وظّف الضمير هنا لتجنب التكرار، وتحقيق الاستمرارية في السرد القرآني، مما يعزز التماسك النصي ويحافظ على حضور المرجع الإلهي في ذهن المتلقي دون الحاجة إلى تكرار لفظ الجلالة.

تحليل الإحالة الضميرية في الآيات (6–9) من سورة سبأ:

قال الله تعالى: ﴿ويَرى الذين أُوتوا العلمَ الذي أُنزِلَ إليكَ من ربك هو الحقَّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجلٍ ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديد﴾﴿أفترى على الله كذبًا أم به جِنَّة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نَخسِف بهم الأرض أو نُسقِط عليهم كسفًا من السماء إن في ذلك لآيةً لكل عبدٍ منيب﴾ (سبأ: 6-9)

في الآية الكريمة السادسة، ورد الفعل (يرى) من ضمن أفعال القلوب التي تتصب مفعولين، حيث أن المفعول الأول هو "الذي" (اسم موصول) والمفعول الثاني هو "الحق" (الدرويش، 1999). أما الضمير "هو" في قوله "هو الحق"، فيستخدم كحرف فصل بين المفعولين لا محل له من الاعراب (ابن كثير، 2000). وظيفة هذا الضمير هي الفصل بين المفعولين في الجملة. الضمير (الياء) في "إليك" في قوله "الذي أُنزل إليك" يعود إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو تمثيل للإحالة الخارجية، حيث يتم ربط السياق بالمرجع الخارجي. أما الضمير "هو" في "هو الحق ويهدي"، فهو يعود على القرآن الكريم، مما يوضح الإحالة الداخلية بين النص القرآني والموقف المستمد من الآية. في الآيات التالية، تظهر ضمائر عدة تحيل داخليًا إلى أطراف الحوار: "قال الذين كفروا" ،"ندلكم"،"ينبئكم"،"مُزقتم"،"إنكم". كل الضمائر هذه تشير إلى أطراف الخطاب داخل السياق، وهم الكفار، والأشخاص الذين يوجه لهم الخطاب، والنبي صلى الله عليه وسلم.

الفرع الأول: الإحالة الضميرية حسب الأقوام – قوم سبأ

قوله تعالى :﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ (سبأ: 15)

تبدأ الآية الكريمة بذكر قوم سبأ تصريحا بالاسم الظاهر "سبأ"، ثم أُتبع بالضمير الجمع "هم" في قوله: "في مسكنهم". وهنا نجد أن الضمير "هم" في محل جر بالإضافة، يعود إلى "سبأ" بوصفهم جماعة، لا شخصا مفردا، وهو ما تثبته دلالة السياق ونسق الخطاب، وهذا يحقق تماسكا نصيا واضحا من خلال الإحالة الضميرية الخلفية التي تستند إلى مرجع صريح سابق.

ثم يتتابع توظيف الضمائر في الآيات التالية على النحو الآتي:

"كُلُوا"، "رِزْقِ رَبِّكُمْ"، "اشْكُرُوا"، "فَأَعْرَضُوا"، "عَلَيْهِم"، "بَدَّلْنَاهُم"، "جَزَيْنَاهُم"، "بَيْنَهُم"، "ظَلَمُوا"، "جَعَلْنَاهُم"، "مَزَّقْنَاهُم."

جميع هذه الضمائر جاءت بصيغة ضمير الغائب الجمع، وهي في محل رفع أو نصب أو جر بحسب موقعها من الجملة، وتحيل جميعها إلى المرجع ذاته، وهو قوم سبأ. وقد ساهم تكرار الإحالات هذه دون إعادة الاسم الظاهر في تحقيق اتساق دلالي وتسلسل سردي منسجم، مما يعكس تماسك النص من الناحية البنيوية والمعنوية. على سبيل المثال، نجد في قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ: 16)

نجد أن الضمير (الياء) "عليهم" في محل جر بحرف الجر يعود إلى قوم سبأ، ويوثّق العلاقة بين الفعل "أعرضوا" والعقوبة "فأرسلنا عليهم"، ليشكل هذا الانتقال الدلالي حلقة من حلقات السرد المتماسك. وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ (سبأ: 17) الضمير "هم" في "جزيناهم" في محل نصب مفعول به أول، يعزز الرابط بين الكفر والجزاء، ويضفي على السرد بعدا سببيا منضبطا، يكرّس فكرة الوحدة الموضوعية للنص. أما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى...﴾ (سبأ: 18) فالضمير "هم" في "بينهم" في محل جر بحرف الجر، يظهر استمرارية الإحالة لقوم سبأ، ويؤدي وظيفة دلالية في بيان النعمة الممنوحة لهم من حيث تنظيم المسافات والأمان في السفر. ويلاحظ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: 19) تحول في الضمير من الغائب إلى المتكلم الجمع (نا) في "أسفارنا"، وهو في محل جر بالإضافة، وهذا التحول يبرز انتقالا في السرد من الغياب إلى الحضور، حيث يعبّر القوم عن أنفسهم بصيغة الخطاب، مما يضفي طابعا حيّا على الحدث. غير أن النص سرعان ما يعود إلى ضمير الغائب في "ظَلَمُوا" و"فَجَعَلْنَاهُم"، مما يعزز التنقل السردي بين منظور الذات ومنظور الراوي، ويمنح النص حيوية وتنوعًا في العرض دون إخلال بالتماسك. كل ذلك يبيّن أن الإحالة الضميرية في هذه الآيات لا تكتفي بتجنب التكرار، بل تعمل بفعالية على بناء التسلسل المنطقي للنص، وتدعيم العلاقة بين النعم، والانحراف، والعقوبة، ضمن إطارس ردي متكامل. وهذا يعكس أثر الإحالة في إحكام الربط النصي وتوجيه الفهم نحو المعنى المقصود. وهنا يمكن أن نلاحظ أن الإحالات الضميرية في قصة قوم سبأ (الآيات 15–19) قد أدت دورا بارزا في حفظ ترابط السرد وتسلسله، دون أن تكرر الاسم الظاهر، مما يعزز النصّ تماسكا داخليا ويسهل على القارئ تتبع أطوار القصة. وهذه الضمائر، بما تحيل عليه من جماعة قوم سبأ، قد تعددت في صورها بين ضمائر الرفع المنفصلة والمستترة وضمائر النصب والجر المتصلة، فجاءت في محل فاعل نحو: (أعرضوا، ظلموا، قالوا)، وفي محل مفعول به نحو: (بدلناهم، جزيناهم، مزقناهم)، وفي محل جار ومجرور نحو: (في مسكنهم، بينهم).

ولم تقتصر ظاهرة الإحالة الضميرية هذه على السياق القصصي في السورة، وانما امتدت لتشمل السياقات العامة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: 39) في هذه الآية تتضح لنا الإحالة الضميرية في صور متنوعة، حيث تعمل على ربط عناصر المعنى ربطا محكما يسهم في التماسك النصي، ويمنع التكرار دون الإخلال بالفهم. ففي قوله: "يَبْسُطُ الرِّزْقَ"، الفعل "يَبْسُطُ" فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره "هو" يعود على "رَبِّي" الموجود في صدر الآية، وهذه إحالة بعدية مباشرة. هذه الإحالة تودي دورا مهمّا في استمرارية الحديث عن الفاعل نفسه دون الحاجة إلى إعادة التصريح به، ما يحقق هذا ترابطا في المعنى ويوفر انسيابية في السرد. ومثل ذلك قوله: "وَيَقْدِرُ لَهُ"، فـ"يَقْدِرُ" أيضا فعل مضارع

مرفوع، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره "هو"، عائد إلى المرجع نفسه "رَبِّي"، بينما الضمير "الهاء" "له" ضمير متصل مبني في محل جار ومجرور متعلق بالفعل "يَقْدِرُ"، يعود على عبارة "مَن يشاء من عباده"، وبهذا تتنوع الإحالات بين الإشارة إلى الله تعالى كفاعل، وبين الإشارة إلى من يشاء من عباده كمفعول، مما يظهر دقة الترابط بين أجزاء الجملة.

أما في قوله: "فَهُوَ يُخْلِفُهُ"، فالضمير المنفصل "هو" في محل رفع مبتدأ يعود على الله تعالى، وقد تبين هنا من خلال الغرض البلاغي، وهو التوكيد والتمييز. أما "يُخْلِفُهُ" ففعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، والضمير "الهاء" في "يُخْلِفُهُ" ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به أول، يعود إلى "ما أنفقتم من شيء". هذه الإحالة تعكس العلاقة السببية بين فعل الإنفاق والعوض الإلهي، وتقيم جسرا معنويّا بين طرفي الجملة. وأخيرا: في قوله: "وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"، الضمير "هو" ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ يعود أيضا إلى "الله"، لتأكيد المعنى وترسيخ المرجع في ذهن السامع. وتظهر هذه الإحالة المستمرة إلى مرجع واحد وهو توحيدا دلاليّا يسهم في وحدة النص وتماسكه، ويظهر الصفات الإلهية بوصفها متصلة بسياق الحديث عن الرزق والإنفاق. وهكذا، يتبين لنا أن هذه السلسلة من الإحالات الضميرية – المتنوعة ما بين المستتر والمنفصل والمتصل – لم تستخدم لأغراض نحوية فحسب، وإنما وظّفت بدقة لتعزيز التماسك النصي والتسلسل المعنوي، كما ساهمت في تسهيل تتبّع المعنى، وربط الأحداث والمفاهيم دون تكرارٍ مباشرٍ للمرجع.

ثم قوله تعالى: ﴿ثم يقول للملائكة أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ: 40) الآية الكريمة هنا تتحول إلى حوار بين الله تعالى والملائكة، حيث يسأل عن قوم سبأ. و"إِيَّاكُمْ" هنا نجد أن ضمير النصب يعود إلى الملائكة، وهو يشير أنه ليس المقصود عبادتهم بل كان هؤلاء القوم يعبدون الجن (الطبرسي، 1988)، كما بينت الآية التي تليها. هذه الإحالة الضميرية تدل على التفاعل بين السرد الإلهي والموقف الذي يعرض موقف قوم سبأ بوضوح.

في قوله: ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم ممؤمنون﴾ (سبأ: 41) نجد أن الضمير "هم" ضمير متصل في محل جر بالإضافة متعلق بالجار والمجرور "من دونهم"، وهو يشير إلى الكفار الذين عبدوا الملائكة من دون الله (ابن عاشور، 1984)، كما يظهر في السياق السابق في قوله تعالى: ﴿ثم يقول للملائكة أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ: 40) غير أن هذا الضمير لم يسبق بمرجع ظاهر داخل الآية، بل يفهم من السياق العام، مما يجعله إحالة قبلية ضمنية، إذ يعود إلى مرجع لم يصرّح به نصيًا، بل تستنبط هويته من سياق الخطاب الحواري بين الله تعالى والملائكة.

ويتكرر ضمير الغائب في الآية في مواضع متعددة، تؤدي وظائف نحوية مختلفة، من أبرزها:

في قوله: "كانوا يعبدون الجن"، الضمير واو الجماعة في الفعل الناقص "كانوا" هو ضمير متصل في محل رفع اسم كان، ويعود إلى الكفار، وهو إحالة قبلية تتماشى مع السياق السابق. وفي قوله: "أكثرهم بهم مؤمنون"، نجد أن الضمير "هم" في "أكثرهم" متصل في محل جر بالإضافة، ويعود إلى الكفار أيضا. أما الضمير "بهم" فهو ضمير متصل في محل جر بالباء، ويعود على الجن الذين عبدهم الكفار.

تبرز هذه الإحالات الضميرية التوزيع الدقيق للضمائر بحسب مرجعياتها وسياقاتها، كما تؤدي دورا نحويًا ووظيفيّا يعزز البنية النصية ويسهم في بناء التماسك الخفي عبر ترابط المعاني وانسجام المقاطع.

من خلال الآيات (39 و40 و41) يظهر لنا توظيف بارع للضمائر التي تبرز التماسك النصي، فتتحول بين الأفعال والأحداث والمواقف بسلاسة. في الآية 39، يتجلى دور الله سبحانه في بسط الرزق وتقديره، وما يتبع ذلك من تعويض للإنفاق، مما يعزز لنا العلاقة بين الرزق والجزاء. بينما في الآية 40، أن الضمير في "إِيَّاكُمْ" يبين إلغاء أي تصوّر خاطئ بين العبادة للملائكة، وفي الآية 41 تستكمل الرد بإحالة الضمير "هم" إلى قوم سبأ، مما يعزز أن المقصود هو عبادتهم للجن. بهذا، يمكن أن نلاحظ أن التوظيف الضميري في جميع هذه الآيات يساهم في تحقيق تماسك النص عبر الإحالات التي توضح التطور الزمني والمكاني للأحداث من النعمة إلى العقوبة، بالإضافة إلى أن الضمائر ساهمت في تسهيل فهم العلاقة بين المواقف المختلفة من غير الحاجة إلى تكرار الأسماء. ومن خلال النماذج هذه التي ذكرت سابقا يتبين لنا أن الإحالة الضميرية في سورة سبأ تتوزع بين مقاطع قصصية وسياقات عامة، وتعمل جميعها على بناء تماسك النصّ وتوحيده دلاليا وسرديا، مما يؤكد أن الإحالة الضميرية عنصر أسلوبي فاعل في البنية اللغوية للسورة.

الفرع الثاني: تحليل الضمائر في مشاهد الحوار والمجادلة (الآيات 31–33):

قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه، ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول، يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ ﴿قال الذين استكبروا للذين استُضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين﴾ ﴿وقال الذين استُضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا، وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (سبأ: 31–33)

في هذا الحوار، يتم استخدام ضمائر متعددة تشير إلى الأطراف المتحاورة: "أنتم": تعود إلى المستكبرين."نحن": تعود إلى المستضعفين."كنتم" ونا في "تأمروننا": تشير إلى المستكبرين. وضمير الجمع المذكور في الآية (٣٣) يعود إلى جميع المذكورين الذين استضعفوا واستكبروا. (ابن عاشور، 1984) تعد هذه الضمائر إشارات داخلية تعزز الحوار بين الطرفين وتعكس تبادل الاتهامات يوم القيامة. أما الضمائر المستترة في الأفعال مثل "قال" ويقول فهي تشير إلى كل طرف بحسب سياق الكلام، مما يعكس توالي الأحداث بشكل غير متكرر للأسماء ويضمن تدفق السرد بسلاسة. وبذلك نلاحظ أن استخدام الضمائر يعد أداة لغوية قوية في بناء مشهد جدلي، يهدف إلى إبراز التوتر بين الأطراف المتحاورة ويسهم في تحقيق تماسك النص عبر تسلسل منطقي للأحداث. خلاصة لكلامنا نلحظ أنّ الضمائر في هذه الآيات تبرز نوعين من الإحالة: وهما إحالة خارجية: كما في الضمير "إليك" العائد إلى النبي. وإحالة داخلية: كما في الضمير "هو" العائد إلى القرآن. نجد أن هذه الإحالات الضميرية تمكنت من ربط الأجزاء المختلفة للنص القرآني بشكل قوي، مما يعزز من تماسك النص ووضوح معانيه، خصوصا في سياقات الحجاج والحوار بين الأطراف

المتصارعة. ومن الملاحظ استخدم النص الضمائر بكثافة لتعزيز البنية اللغوية والسردية. تعكس هذه الضمائر تبادل الاتهام والمسؤولية بين الأطراف في الن؛. لذا أسهمت الإحالات الضميرية في تشكيل مشهد لغوي متماسك يعكس تطور الحوار وتبدل المواقف.

وقصة داوود وسليمان عليهما السلام (الآيات 10–14) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: 10) تتجلّى في هذه الآية الكريمة ضمائر عدة، منها: "آتينا" و"ألنا"، وهما ضميرا متكلم جمع من ضمائر المتصلة يعودان إلى الله تعالى، وتمثلان إحالة خارجية، لأن المرجع (الله) لم يذكر اسمه صراحة في الآية، وإنما يفهم من السياق العام للنص القرآني. أما الضمير "له" في "ألنّا له الحديد"، فيعود إلى "داوود" المذكور في أول الآية، فالإحالة هنا داخلية سابقة (قبلية). وكذلك الضمير "الهاء" في "معه" يعود على داوود، والإحالة من النوع ذاته: داخلية سابقة.

﴿ ...وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: 11) الضمير المتصل "الياء" في قوله "إني" ضمير متكلم يعود إلى الله تعالى، وهو إحالة خارجية. أما الضمير "واو الجماعة" في "تعملون"، فيعود على المخاطبين بالأمر في "اعملوا"، وهم داوود ومن معه (الطبرسي، 1988). وتعدّ هذه إحالة داخلية لاحقة إذا اعتبرنا أن الضمير ظهر قبل التصريح بالمخاطبين، ويمكن أيضا اعتبارها إحالة محاكية، إذا فهم السياق أن الخطاب موجه إليهم دون الحاجة إلى ذكرهم صراحة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ... وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ...﴾ (سبأ: 12). الضمير "له" في "أسلنا له" يعود إلى "سليمان"، الذي ورد اسمه في بداية الآية، فالإحالة داخلية سابقة. والضمير "الهاء" في "بين يديه" يعود أيضًا على سليمان، والإحالة من النوع نفسه. أما الضمير "هم" في "منهم" فيعود على "الجن" الذين ورد ذكرهم في نفس السياق، فالإحالة داخلية سابقة. وفي "أمرنا"، فإن "نا" ضمير المتكلم يعود على الله تعالى، وهو إحالة خارجية. أما "نُذقه"، فإن الضمير فيه يعود إلى "من يزغ منهم"، والمرجع يأتي بعده، لذا فهي إحالة داخلية لاحقة.

قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13) الضمير "له" يعود إلى سليمان، وسبق ذكره، فالإحالة داخلية سابقة. أما "عبادي"، فـ "ياء المتكلم" تعود إلى الله تعالى، وهي إحالة خارجية.

أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ...﴾ (سبأ: 14). فـ"قضينا" يتضمن ضمير المتكلم عن الله، وهو إحالة خارجية. أما "عليه"، فيعود إلى سليمان، وذكر في الآية السابقة، فالإحالة داخلية سابقة. والضمير "هم" في "منهم" يعود إلى الجن الذين ذكروا سابقًا، وكذلك "واو الجماعة" في "يعلمون" تعود على الجن، فجميعها إحالات داخلية سابقة. تبيّن لنا أن الإحالة الغالبة في هذه الآيات هي الإحالة الداخلية السابقة (القبلية)، كما في: (له، عليه، منهم)، حيث ترتبط الضمائر بمراجع ذكرت سابقا في السياق. ونجد كذلك إحالات خارجية، وتتركز غالبا في ضمائر المتكلم الدالة على الله تعالى، مثل: (آتينا، ألنا، قضينا)، إذ لا تعود إلى اسم ظاهر في النص بل على المتكلم المفهوم ضمنا. كما يظهر في الآيات أيضا نوع من الإحالة الداخلية اللاحقة، مثل "نُذقه"، حيث ورد الضمير قبل مرجعه الصريح. وتسهم هذه الإحالات الضميرية في تحقيق الترابط الدلالي بين وحدات النص، كما تكشف عن

تماسك السياق من خلال الربط بين الضمائر ومرجعياتها. وهذا يعزز تماسك النص على المستوى الإحالي، حتى في المواضع التي لم تذكر فيها المرجعيات صراحة، مما يعكس دقة البنية النصية للنص القرآني.

خاتمة:

بينت هذه الدراسة عن الأثر البارز للإحالة الضميرية في بناء التماسك النصي في سورة سبأ، إذ كشفت هذه الآيات توظيفا دقيقا للضمائر بأنواعها، من حيث كانت إحالة إلى أقوام مضوا، كقوم سبأ، أو إلى أنبياء، كداود وسليمان، أو إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد عزز هذا التوظيف في الربط بين أجزاء السورة، من أجل حفظ وحدة السياق، وتوجيه القارئ الى المعنى دون غموض أو إرباك.

ومن خلال هذا التحليل النحوي للضمائر، يظهر لنا أن مواقعها في التراكيب لم تأت اعتباطا، وإنما أدّت وظائف دلالية ونحوية متكاملة، محافظة على اتساق المعنى وانسجامه، وتقليل الحاجة إلى التكرار، مما ساهم من اقتصاد اللغة ودقة التعبير في النص القرآني.

وهكذا يتبين أن الإحالة الضميرية ليست عنصرا شكليا فحسب، وإنما هي أداة من أهم أدوات الترابط النصي، التي ساهمت في تنظيم البنية الداخلية للنص، وإبراز جانب من جوانب الإعجاز في التعبير القرآني، مما يفتح المجال لدراسات أعمق في سور أخرى لاستكشاف دور هذه الظاهرة في بناء النصوص واستمرار دلالاتها.

كشفت الدراسة أن الإحالة الضميرية في سورة سبأ جاءت بصور متنوعة في ضمائرها (الغائب، المخاطب، المتكلم)، وساعدت في بناء تماسك داخلي بين أجزاء السورة. إن الإحالة إلى أشخاص وقوميات سابقة (مثل قوم سبأ، وداود، وسليمان) ساهمت في استحضار الأحداث وربطها بسياق الرسالة الموجهة إلى المخاطبين، مما يعزز التفاعل الدلالي بين الماضي والحاضر في هذا النص. أسهمت الإحالة الضميرية بدور فعال في تقليل التكرار اللفظي، وهذا يدلّ على الاقتصاد اللغوي للنص القرآني، وإظهار أهمية وقدرة الضمير للحفاظ على وحدة المعنى دون الإخلال بجمالية الأسلوب. أظهر التحليل النحوي لمواقع الضمائر أن اختيارها جاء متسقا مع المقام والسياق، مما عزّز من وضوح المعنى وسلاسة الانتقال بين الآيات والمقاطع. أكّدت هذه الدراسة أن الإحالة الضميرية هي عنصر بنيوي فاعل في تحقيق التماسك النصي وليست أداة لغوية محايدة.

References:

● *The Holy Qur'an.*

● *Abd al-Ḥakīm, I. (2009). The referential pronoun and its impact on Qur'anic exegesis: A study of the third person pronoun based on the suffix "hā'" in Ḥizb al-Mufaṣṣal (PhD dissertation, College of Education, Department of Tafsīr and Ḥadīth, Riyadh).*

● *Abū ʻAmr, ʻU. I. al-Ḥ. (1988). Amālī Ibn al-Ḥājib. Amman: Dār ʻAmmār.*

● *Afīfī, A. (2010). Dawr al-iḥāla fī al-ittisāq al-naṣṣī. Cairo: Dār al-Hānī li al-Ṭibāʻa wa al-Nashr.*

● *Afīfī, A. (2021). Al-iḥāla fī naḥw al-naṣṣ. Cairo: Dār al-ʻUlūm College.*

● *Aḥmad, A. K. (2015). Wasāʼil al-tamāsuk al-naṣṣī fī al-khuṭab al-nabawiyya (1st ed.). Ṭanṭā, Egypt: Dār al-Nābiġha li al-Nashr.*

● *Al-Azhar, Al-Z. (1993). Baḥth fīmā yakūn bihi al-malfūẓ naṣṣan (1st ed.). Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī.*

● *Al-Darwīsh, M. (1999). Iʻrāb al-Qurʼān al-Karīm. al-Yamāma: Dār Ibn Kathīr.*

● *Al-Farāhīdī, al-Kh. I. A. (1990). [Volume 8]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyya.*

● *Al-Faqī, Ṣ. I. (2015). ʻIlm al-lugha al-naṣṣī bayn al-naẓariyya wa al-taṭbīq (dirāsa taṭbīqiyya ʻalā al-suwar al-makkiyya) (1st ed.). Alexandria: Dār al-Nābiġha li al-Nashr wa al-Tawzīʻ.*

● *Al-Fayūmī, A. I. M. I. ʻA. (2007). Al-miṣbāḥ al-munīr (Entry: ḥ-w-l; Y. Shaykh Muḥammad, Ed.). Beirut: al-Maktaba al-ʻAṣriyya.*

● *Al-Jawharī, I. (2009). Tāj al-lugha wa ṣiḥāḥ al-ʻarabiyya. Cairo: Dār al-Ḥadīth.*

● *Al-Naḥḥās, A. J. A. I. M. I. I. (2004). Iʻrāb al-Qurʼān (Vol. 4; Z. Gh. Zāhid, Ed.). Cairo: ʻĀlam al-Kutub.*

● *Al-Ṭabarsī, A ʻA. al-F. i. al-Ḥ. Majmaʻ al-Bayān fī Tafsīr al-Qurʼān, Volume 8, Dār al-Maʻrifa, Beirut, 1988.*

● *Al-Qurṭubī, A. ʻA. A. M. I. A. D. (1987). Al-jāmiʻ li aḥkām al-Qurʼān (Vol. 17; ʻA. A. al-Turkī, Ed.). Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyya.*

● *Al-Ṭabarsī, A. ʻA. al-F. I. al-Ḥ. (1988). Majmaʻ al-bayān fī tafsīr al-Qurʼān (Vol. 8). Beirut: Dār al-Maʻrifa.*

● *Al-Ṭabāṭabāʼī, M. Ḥ. (2000). Al-mīzān fī tafsīr al-Qurʼān (Vol. 25). Qom: Ismāʻīlīyān Publications.*

● *Al-Tahānawī, M. ʻA. (1996). Kashshāf iṣṭilāḥāt al-funūn wa al-ʻulūm (Vol. 1). Beirut: Maktabat Lubnān Nāshirūn.*
● *Al-Zamakhsharī, M. I. ʻU. (2004). Al-mufaṣṣal fī ʻilm al-ʻarabiyya (F. Ṣ. Qadārah, Ed.). Amman: Dār ʻAmmār.*
● *Baḥayrī, S. (2005). Linguistic studies and applications on the relationship between structure and meaning. Cairo: Maktabat al-Ādāb.*
● *Baḥayrī, S. (2009). Fundamentals of text linguistics. Cairo: Maktabat Zahra' al-Sharq.*
● *De Beaugrande, R. (1998). Text, discourse and process (T. Ḥassān, Trans.). Cairo: ʻĀlam al-Kutub.*
● *Ḥasan, ʻA. (1958). Al-naḥw al-wāfī. Egypt: Dār al-Maʻārif.*
● *Ibn ʻĀshūr, M. (1984). Tafsīr al-taḥrīr wa al-tanwīr. Tunis: Dār al-Tūnisiyya li al-Nashr.*
● *Ibn Fāris, A. (1984). Maqāyīs al-lugha (ʻA. M. Hārūn, Ed.). Beirut: Dār al-Jabal..*
● *Ibn Hishām, ʻA. (1996). Mughnī al-labīb ʻan kutub al-aʻārīḍ (M. M. ʻA. al-Ḥamīd, Ed.). Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.*
● *Ibn Kathīr, I. I. ʻU. (2000). Tafsīr al-Qur'ān al-ʻaẓīm. Beirut: Dār Ibn Ḥazm.*
● *Ibn Manẓūr, M. (1996). Lisān al-ʻarab (ʻA. al-Kabīr & M. A. Ḥasab Allāh, Eds.). Cairo: Dār al-Maʻārif.*
● *Khaṭṭābī, M. (1991). Lisāniyyāt al-naṣṣ: Madkhal ilā insijām al-khiṭāb. Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī.*
● *Maṣlūḥ, S. (1991). Naḥw ājurrūmiyyat al-naṣṣ al-shiʻrī (dirāsa fī qaṣīda jāhiliyya). Fusūl Journal, 10(2). Egyptian General Book Organization.*
● *Moḥammad, ʻA. J. (1983). Pronouns in the Arabic language. Cairo: Dār al-Maʻārif li al-Nashr wa al-Tawzīʻ.*
● *Shibl, I. (2018). Text linguistics: Theory and application. Cairo: Maktabat al-Ādāb.*
● *Sībawayh, ʻA. I. ʻU. (1988). Al-kitāb (ʻA. M. Hārūn, Ed.). Cairo: Maṭbaʻat al-Khānjī.*